مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 11 / العدد: 01 (2023)، ص: 89-98

رؤية تحليلية في "صادرات" الجزائر نحو فرنسا تحت وطأة الاستدمار الفرنسي

An Analytical Vision of Algeria's Exports to France under the French Colonization

حبيش فتيحة [1]. شتوان نظيرة[2]

[1] جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر02 (الجزائر)

habbichefatiha@gmail.com

[2] جامعة لونيسي علي البليدة 02 (الجزائر)

nadirachetouane@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2022/12/14 تاريخ القبول: 2023/01/09 تاريخ النشر: 2023/03/05

ملخص:

يعالج هذا المقال موضوعا مهما يتعلق ب"صادرات" الجزائر نحو فرنسا وهي تحت وطأة الاستدمار الفرنسي، كما يرتبط أيضا بالمبادلات التجارية بين البلدين. وكذلك قضية الامتيازات التي لطالما اعتبرت سلاحا ذو حدين: فالهدف الظاهر هو تطوير الاستثمارات وحماية الممتلكات أما الهدف المُبيّت فهو باختصار وجه جديد للاستدمار؛ هذا الاستدمار بمعنى أدق هو الذي فرض على البلاد نموذجا جديدا للزراعة سمي بالزراعة التجارية التي تلبي حاجيات فرنسا أولا، وتخدم اقتصادها بشكل كبير في حين نجد أن الجزائريين امتهنوا قديما زراعة الكفاف.

والباحث المحلل للتاريخ الاقتصادي للجزائر يجد أن الجزائر كانت تموِّن العالم بمختلف المنتوجات وخاصة فرنسا، والتي استنزفت خيرات الجزائر ونهبتها نهبا وبفضل المنتوجات الجزائرية التي كانت الحجر الأساس لتنمية فرنسا؛ وهذا ما يبرهن أن السبب الرئيسي لعملية احتلال فرنسا للجزائر لم تكن حادثة المروحة المزعومة، بل الأسباب الاقتصادية كانت المحرك الجوهري لعملية الاحتلال.

الكلمات المفتاحية: الجزائر، الاستدمار، صادرات، امتيازات، الزراعة التجارية.

Abstract:

The present paper treats an important topic related to the Algerian exports and France trade exchanges during the tyrannical French colonization. Additionally, it demonstrates the privileges which serve as a double-edged sword: the apparent objective is to elaborate investments and protect the properties; the hidden target reveals a new version of colonization, that imposed a new farming model on Algeria called the commercial agriculture that attempted to fulfill the needs of France first then improve its economy though Algerian farmers were implemented in the subsistence agriculture.

Research about the Algerian economic history proves that Algeria provided many nations with various types of agricultural products; France was the biggest beneficiary as it depleted the Algerian natural resources which contributed enormously in the development of France. In real the French colonization to Algeria is not about fan act; economic purposes, however, drive colonialism

Kew words: Algeria, French Colonization, Exports, Privileges, Commercial Agriculture.

***المؤلف المرسل:** حبيش فتيحة.

1. مقدمة

تصبو هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على جزء من الجانب الاقتصادي لبلد الجزائر إبان الفترة الاستعمارية، فبمجرّد أن وطأت أقدام المستدمِر الفرنسي أرض الجزائر قام بانتزاع الأراضي الفلاحية من أصحابها الأصليين وتحويلها إلى

غراسة الكروم المنتجة لعنب الخمور، بالإضافة إلى اهتمام فرنسا بالحمضيات؛ والتي كانت تدرّ عليها أضعافا مضاعفة من مما كانوا يكسبونه من زراعة القمح والشعير وبالفعل أصبحت الحمضيات تحتل المرتبة الثانية في ترتيب الصادرات بعد الخمور التي تصدّرتها، والملفت للانتباه اقتران مصطلح "صادرات" بالجزائر حتى في الفترة التي كانت فيها الجزائر مستعمَرة !!!

ونجد أنفسنا أمام إشكالية محورية هي:

- كيف لبلد أن يكون مستعمَرا وتكون لديه صادرات؟

هذه الإشكالية تطرح ضمن طياتها جملة من التساؤلات الثانوية من بينها:

- كيف كانت العلاقات التجارية بين الجزائر وفرنسا إبان فترة الاحتلال؟
- وما مفهوم الزراعة التجارية يا ترى؟
- وماهي انعكاسات هذه العلاقات على الجزائر وفرنسا وعلى العالم؟

ومحاولة منا الإجابة على هذه التساؤلات وغيرها اتبعنا المنهج التاريخي السردي في سرد الأحداث التاريخية وكذا الوصفي بالإضافة إلى المنهج التحليلي في دراستنا للوقائع التاريخية وتحليلها تحليلا منطقيا.

2. الأوضاع الاقتصادية

تعدّ الجزائر من أهم مستعمَرات فرنسا بدليل أن فرنسا فرّطت في جميع مستعمَراتها ولم تفرط في هذا البلد، فقد كانت فرنسا تعاني في ذلك الوقت نقصا شديدا في المواد الأولية على إثر حروب نابليون ولذلك استبدّت بها الشراهة لتغتصب ما أمكنها ذلك لبناء اقتصادها على حساب الجزائر، وخاصة أنها رأت بريطانيا متقدّمة في مجال الصناعة لكونها تملك نواة امبراطورية في الهند وجزر الهند الغربية محتفظة بها منذ عهد الفتوحات التجارية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر.

ومقارنة مع هذه الأوضاع كانت الصناعة المحلية الجزائرية في مطلع القرن 19م كثيرة الجودة وذات صيت واسع، وكانت مزارعها غنية وتقوم بتصدير الحبوب والفواكه والأصواف، وكان نظامها السياسي والعسكري والمالي والروح الوطنية الصادقة المناهضة للاستدمار مهما تعددت أشكاله من الأمور التي كان يحسدها عليها الكثيرون من بلاد أوربا وفي مقدمتهم الدولة الفرنسية الباغية التي لولا المساعدات الجزائرية بالمال والقمح لأصابها الافتقار الكامل. (مرتضى، د.ت، صفحة 12)

لقد كتب وكيل العلاقات التجارية الفرنسية إلى حكومته من ألمانيا موصيا بأن تعمل فرنسا على غزو الجزائر قائلا : «إن الفوائد المادية التي تعود على فرنسا من غزو الجزائر بغض النظر عن ملايين الفرنكات الذهبية التي تزخر بها الخزانة الجزائرية أجدى وأنفع لفرنسا من كل عمليات الغزو الاقتصادي التي قامت بها حتى الآن»، ثم يستطرد معدّدا الثروة الطبيعية التي تحتويها تربة الجزائر فيقول: «سهول طيبة ذات خصب عجيب ومناجم غنية بالحديد والرصاص، وجبال من الأملاح المعدنية وملح البارود متناثرة هنا وهناك في كل مكان تنتظر الأيدي التي تقوم على استغلالها... ». (أحمد محمد، 2009م، صفحة 117)

وهكذا نجد أن التملك الاستعماري كان مركزا بقوة وخلال قرن واحد امتلك كل واحد من بين عشرين بالمئة من الملاّكين المستوطِنين أكثر من مئة هكتار مقابل واحد بالمئة للملاّكين الجزائريين المسلمين. وفيما يخص الفلاحة كنشاط فيظهر لنا بوضوح أن زراعة كروم العنب التي لم تكن موجودة قبل 1830 بشكل موسّع، كانت خطا موجها للاستعمار الاقتصادي والذي بنى اقتصاده على الزراعة التجارية أساسا.

1.2 الأزمة الاقتصادية العالمية:

دون أن ننسى الأزمة الاقتصادية العالمية وانعكاساتها على العالم بأسره ففي مطلع القرن العشرين انهارت الأسعار في بورصة الأسهم في نيويورك وخسر المستثمرون أموالا طائلة كانت هذه بداية لأزمة اقتصادية وركود اقتصادي أثّر في العالم كله خلال العقد التالي كله؛ حيث أنّ انهيار البورصة سبب هلعا لا يوصف وفقدانا للثقة؛ إذ توقّفت البنوك عن القروض وأقفلت مصانع كثيرة وتقلصت التجارة مما أدى إلى بطالة جماعية، ففي عام 1932م بلغ عدد العاطلين عن العمل في الولايات المتحدة الأمريكية مثلا: 13.7 مليون وانتشرت الأزمة بسرعة كبيرة عبر العالم وأصابت كل الدول تقريبا.

كان الكثير من الدول قد اعتمد على قروض من الولايات المتحدة لتعينه على الانتعاش من نتائج الحرب العالمية الأولى (1914م- 1918م) وبحلول الأزمة الاقتصادية توقفت هذه القروض، فسرعان ما انهارت التجارة والأعمال وفقد الملايين من الناس وظائفهم وسببت البطالة البؤس والفقر، ولجأ خائبوا الأمل والخائفون إلى الأحزاب السياسية اليمينية المتطرّفة كحزب العمال الوطني الاشتراكي الألماني التهيئة للحرب العالمية الثانية والتي أنهت الأزمة لأنّ الإنتاج الحربي المتزايد وفّر فرصا للعمل. (علي، 2013، صفحة 47)

2.2 التيّار الاقتصادي

في مطلع الستينات ظهر في أمريكا تيّار جديد سمي بالتيّار الاقتصادي الجديد؛ وهو يقوم على دراسة التاريخ مستعينا بأدوات العلم الاقتصادي ومسيرته: المناهج الكمية، الإجراء الافتراضي، القولبة، الكمية. المنهج الاستدلالي ويعتبر روبرت فوغل ودوغلاس نورث هما من أسسا لهذا التيّار وقد حصل على جائزة نوبل في الاقتصاد سنة 1993م.

كما استطاع روبرت فوغل أن يثبت أن سكك الحديد لم تكن بالشرط اللازم ولا المحرك الأساسي أثناء الفترة الأولى من التصنيع أما دوغلاس فمن خلال أعماله فقد تحدث عن الشروط المؤسساتية لنجاح التطور في الغرب.

ونلاحظ هذا في كتابه الذي ألفه بالشراكة مع الاقتصادي توماس 1973 (**The Rise of the Western World**)؛ حيث ورد في هذا الكتاب أن إشكالية الملكية الفردية تعتبر السبب الرئيسي في الانطلاقة الاقتصادية في الغرب ولا يعود سبب ذلك إلى التقدم التقني كما يظن هو. (جان فرونسوا، 2011، صفحة 183)

والسؤال الذي يطرح نفسه:

- هل من مصلحة الدول أن تقيم علاقات تبادل فيما بينها؟ وبأية شروط؟ وكيف سيكون وقع تلك العلاقات على اقتصاد كل دولة؟
- هذا نوع من التساؤلات التي وجب على نظرية التجارة الدولية الإجابة عليه.

امتاز هذا المجال البحثي بالمرور بأربع فترات غلبت على تاريخه، فليس من محظ الصدفة أن يكون آدم سميث (1723-1790م) ودايفيد ريكاردو (1772-1823م) وهما اللّذان أسّسا النظرية الكلاسيكية في التجارة الدولية وقد عاشا في انكلترا، وكانت انكلترا آنذاك أكبر قوة تجارية واقتصادية في العالم بأسره، إنها مركز ما أطلق عليه المؤرخ فرناند بروديل تسمية " الاقتصاد-العالم".

يرى آدم سميث أن المصلحة التي تحفز الأمم للإتجار فيما بينها بسيطة جدا: «أعطني ما أنا بحاجة إليه وستحصل مني على ما أنت بحاجة إليه» فكل بلد يمتلك مؤهّلات خاصة لينتج شيئا بتكلفة متدنية.

إذن للدولة مصلحة بالتخصص وبتصدير سلعة معينة سواء تعلق الأمر بالشاي أو بالأحذية أو...

وبالنهاية يستفيد كل بلد من التجارة، هذا هو جوهر وأساس نظرية "الحسنات المطلقة". (المرجع نفسه، ص194)

ولكن ماذا يحدث إذا تمتع بلد ما بمؤهّلات ومزايا كثيرة في حين كان البلد الآخر ليس له مؤهلات؟ يبدو حينئذ أن لا مصلحة لهما بالتجارة مع بعض؛ كون أحدهما يبقى فقيرا في حين يصير البلد الثاني غنيا.

ضد هذه الحقيقة الواضحة والصريحة بنى ريكاردو "قانون الحسنة المقارنة"؛ وحسب هذا القانون حتى ولو كان البلد فاعلا في إنتاج الكثير من الخيرات وجب عليه أن يكون متخصصا في المنتوج؛ حيث يكون الأفضل بالمقارنة، وقدم ساملسون والذي حصل على جائزة نوبل في الاقتصاد سنة 1976م قدّم توضيحا حدسيا لهذا القانون؛ حيث يقول ساملسون أن محاميا من أبرع المحاميين هو في الوقت نفسه من أبرع الذين يكتبون على الآلة الكاتبة، أفضل من كل سكرتيري المدينة.

- فهل من مصلحته أن يترك المحاماة ليتحول إلى كاتب على الآلة الكاتبة؟

الجواب بالنفي طبعا؛ فالوقت الذي يستغرقه في الكتابة لا يعطي المردود نفسه فيما لو استغرقه في الدفاع، حتى لو كان هو الأفضل في النشاطين، فمن مصلحته التخلي عن الكتابة على الآلة الكاتبة.

إن نظرية الحسنات المقارنة هي حجة قوية لصالح التبادل الحر عند ريكاردو، فهو يوحي عكس ما يبدو واضحا أن التجارة الدولية هي مربحة لجميع الاطراف حتى لو بدت بعض البلدان ظاهريا أقدر على المضاربة والأخرى ضعيفة في كل القطاعات.

وهنا يتبادر إلى أذهاننا سؤال آخر:

- هل يمكن رفض قانون الحسنات المقارنة؟

إن ريكاردو – وهو من رجال المصارف المهرة ومن المنظرين السعداء – كان متورطا مباشرة في تجارة بلده، لذلك كان متحمسا في تقييمه لهذا المظهر من الحسنات في تطور التبادل. ومن دون الولوج في التفاصيل يجب القول أنه من أجل الوصول إلى نتائجه فهو لم يبق إلا على فرضيات قليلة في نموذجه، فيكفي أحيانا أن نستبدل واحدة بأخرى كما فعل الاقتصاديون بعده للوصول إلى نتائج مخالفة بشكل كلي لما توقعه هو. (المرجع السابق، ص195)

3. العلاقات التجارية بين الجزائر وفرنسا:

تميزت المبادلات التجارية منذ العصور القديمة بما أطلق عليه تسمية "الامتيازات" وانطلاقا مما وصل إلينا من مصادر ومراجع والتي تجمع على أن أول اتفاقية امتيازات كانت في عام 1535 للميلاد غير أن الباحث في العصور القديمة يجد أن عقد مثل هذه الاتفاقيات أسبق زمنيا من هذا التاريخ؛ حيث أن العثمانيون لم يكونوا هم الأوائل في ذلك ولم يخطر ببال أحد أن عقد مثل هذه الاتفاقيات سيصبح يوما ما قيودا محكمة ووجها جديدا للاستعمار وتتحول إلى حجج للتدخل في شؤون البلاد الداخلية وهو الباب الخلفي للاستعمار.

فالمتمحّص في دراسة التاريخ يدرك جيدا أن موضوع الامتيازات فتح بوابة كبرى لتدخل فرنسا في شؤون الجزائر مما سيوقعها في قبضة المستعمِر، فلطالما كانت مرسيليا منطلقا للتجارة الفرنسية التي تجوب البحر الأبيض المتوسط وجني الأرباح الناجمة عن ذلك خاصة بعد العلاقات الحسنة التي وطدها فرونسوا الأول مع سليمان القانوني. (Friedlander, 1985, p. 1140) كما اعتبرت ليون (Léon) ملتقى الطرق التجارية القادمة من سويسرا وألمانيا ، واحتلت المنزلة الثانية بعد باريس (Paris) في مجال التصنيع ، كما اعتبرت كذلك سوقا للعملة ومركزا للاستثمار. (ديورانت، 1988، صفحة 6)

وها هو الناشط السياسي الفرنسي جان بول سارتر (Jean–Paul Sartre) وهو من الفلاسفة المعاصرين (1930م-2004م)، والذي من بين مؤلفاته الأساسية:

- الحق في الفلسفة.
- هوامش الفلسفة.
- الكتابة الاختلاف.

كما نذكر من بين أهم القضايا التي اهتم بها جون بول سارتر

- نقد المفاهيم.
- تعليم الفلسفة.
- الفلسفة والأدب. (مصطفى، 2012، صفحة 746)

هذا الناشط السياسي في كتابه " عارنا في الجزائر " يتكلم عن الاستعمار ويُقر على أنه لم يكن محظ مصادفة وأنه لم يكن وليد آلاف المشروعات الفردية، وإنما هو نظام بُني استنادا على عدة مخططات سابقة، وأن الجزائر والتي هي مع الأسف الشديد أحسن مثال للنظام الاستعماري الظالم؛ حيث أوضح لنا من خلال كتابه " عارنا في الجزائر " قسوة هذا النظام الذي لابد أن ينتهي إلى نهاية مفجعة أليمة كما جاء على لسانه (وشهد شاهد من أهلها).

لقد كان سارتر مهتما كثيرا بموجات التحرر التي كانت تجتاح العالم وشارك فيها بمختلف كتاباته ضد ظلم المستعمِر، كما أنه كان مطاردا من قبل الحكومات الفرنسية والتي اتهمته بالخيانة والفسوق لبلاده، بالإضافة إلى قيامه بالتنديد بالأعمال الوحشية والحيوانية الرهيبة والتي كانت تمارس ضد الجزائريين، ومساندته لنضال الجزائريين بداية من إعلانه الالتزام في 27 جانفي 1956م بالوقوف مع القضية الإنسانية الحقّة.

وهكذا نجد سارتر يشارك في مسيرة ضد العمليات الإجرامية في سنة 1962 م والتي دبّرتها المنظمة العسكرية الارهابية السرية في الجزائر وفرنسا. (فرنسوا ، أوليفيه، و إيفلين، 2014، صفحة 493)

مع الملاحظة أن تركيزي في هذا البحث قد انصبّ بصفة كبيرة على شخصية جان بول سارتر (Jean – Paul Sartre) كونه الفيلسوف الوحيد الذي ساند كفاح الشعب الجزائري ضد الاستدمار الفرنسي، نعم نقول استدمارا وليس استعمارا لأن التعمير يكون بالخير والبناء والتطوير بدليل قوله تبارك وتعالى في محكم تنزيله: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ ﴾. (سورة هود، الآية 61) ﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾. (سورة يس، الآية 68)

وهنا « نُعمّره » بمعنى الإطالة في العمر والعيش زمنا طويلا ثم العودة إلى حالة الوهن والضعف من جديد وكما كان في بداية الخلق، كذلك الغاية من نزول سيدنا وأبينا آدم وأمنا حواء عليهما السلام إلى الأرض هو تعمير الأرض أما الهدف الأسمى والمبتغى من الخلق هو عبادة الله وحده وأن لا نشرك به أحدا ونستشهد بذلك في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (57) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (58) فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ (59) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾. (سورة الذاريات، الآيات 56- 60).

أما المستدمِر والمحطِّم الفرنسي فقد دمّر البلاد والعباد وأتى على الأخضر واليابس دون أدنى رحمة أو شفقة أو حتى ذرة إنسانية - وهم من دعاة الإنسانية!- حتى وإن بدا لنا أنه قام بإنشاء بعض المنشآت كالمنازل والمصانع وشقّ بعض الطرق والسكك الحديدية هذا راجع إلى أن فرنسا لم يخطر ببالها ولو للحظة أنها ستخرج من الجزائر بمعنى أنها كانت تبني وتشيد لنفسها ولمستوطنيها.

والملاحِظ المدقّق يرى متانة هذه المنشآت وصلابتها وقوتها فهي لا تزال قائمة لحد اليوم مع بداية اندثار البعض منها رغم مرور زمن على تشييدها وهي إن دلت على شيء فإنما تدل على الأطماع الاقتصادية المكبوتة الخفية التي كانت وراء احتلال فرنسا للجزائر والتي اتخذت من حادثة المروحة ذريعة واهية لتنفيذ غرضها الاحتلالي الاستدماري فنيّة الاحتلال كانت مبيّتة ومحضّرة منذ زمن.

وبعد قراءتنا العميقة للتاريخ يتضح بل ويتأكد لنا أن الاستدمار الفرنسي للجزائر يعد أبشع استعمار في العالم وعبر مختلف العصور وأن الشعب الجزائري أفضل مثال للاستماتة والتضحية بالنفس والنفيس وبكل ما هو غال في سبيل الله ثم الوطن وأن للشهداء مرتبة عالية عند رب العالمين وأنهم وإن ماتوا في الدار الأولى وهي الدنيا فهم أحياء عند ربهم يرزقون مستمتعون بكل ما لذّ وطاب في جنة الفردوس بدليل قوله عزّ وجلّ في محكم تنزيله﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (169) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (170) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (171) الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (172) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (173) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (174) إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾. (سورة آل عمران، الآيات: 169- 175).

ومما أدهش المستدمِر الفرنسي شجاعة الجزائري ومواجهته للموت المحتّم وإصراره على الاستقلال وتحرير البلاد دون تراجع ونأخذ على سبيل المثال لا الحصر ولنا في الشهيد البطل الشجاع العربي بن مهيدي والذي قال فيه الجنرال

مارسيل بيجار لو كان لدينا ثلاثة من أمثال العربي بن مهيدي لغزونا العالم؛ حيث قهرته ابتسامة ونظرة شهيد الوطن العربي بن مهيدي وهو مقتاد لتنفيذ حكم الإعدام مستقبلا مصيره بكل فرح وطمأنينة مردّدا: الله أكبر الله أكبر، تحيا الجزائر تحيا الجزائر...

والشيخ العربي التبسي والذي لقّب بالشهيد الذي لا قبر "؛ حيث أنّ السلطات الفرنسية وضعته داخل قدر كبير به زيت يغلي، تصوّروا معي بشاعة هذا المنظر وأيّ تعذيب هذا؟!!! والطفل عمر ياسف والذي كان يسمّى عمر الصغير ومن فئة النساء نذكر حسيبة بن بوعلي واوريدة مدّاد وغيرهن كثيرات .... هذه أمثلة على سبيل الذكر لا الحصر ودليل على قوة العزيمة والإرادة والإصرار، فالابتسامة التي رسمت على محيّاهم وهم فرحين بالشهادة زعزعت الكيان الفرنسي وأبهرتهم. كما تجدر الإشارة إلى أن العدد المتداول حول عدد الشهداء بمليون ونصف مليون شهيد فهو أكثر من ذلك بكثير-فرحم الله شهداءنا برحمته الواسعة وأسكنهم الفردوس الأعلى-

4. الزراعة التجارية:

تهدف الزراعة التجارية إلى جمع الثروة المالية عن طريق استعمال وسائل حديثة وتوظيف الإمكانيات الطبيعية والصناعية في حين نجد أن زراعة الكفاف هدفها الأساسي تحقيق الاكتفاء الذاتي وتلبية حاجيات السكان فقط؛ حيث في عام 1936م نلاحظ أن الأراضي الزراعية التي كانت تقدر بحوالي 20 مليون هكتار استحوذ المستدمِر الفرنسي منها على 09 ملايين هكتار وألحقها بأملاك الدولة، وكان المستوطِن الفرنسي الواحد لديه ما يقارب 96 هكتار وهي من أحسن الأراضي وأجودها بينما الفرد الجزائري ليس لديه غير 04 هكتارات ومعظمها قاحلة لا تصلح للزراعة ولا لرعي الماشية. (صالح بن النبيلي، 2012، صفحة 289)

لقد دمّر المستدمِر الفرنسي الأراضي الجزائرية وخرّبها واغتصبها مستندا في ذلك إلى المراسيم التشريعية التي صدرت بين سنتي 1844-1846م، ومما نتج عنه إجبار الجزائريين على الهجرة من المناطق الساحلية نحو المناطق الداخلية أين انتزعت الأراضي منهم ثم ليهاجروا بعدها إلى المناطق الجبلية الوعرة.

الجدول 1: يوضح أنواع المواد المصدَّرة من الجزائر إلى فرنسا عام 1913م

المواد المصدَّرة	كمية المواد	ثمن المواد المصدَّرة بالفرنك
القمح	1.166.436 قنطار	33.360.000
الشعير	945.302 قنطار	16.826.000
الخمور	4.758.562 هيكتولتر	146.564.000
الغنم	1.190.348 رأس	49.756.000
الحديد	1.363.400 طن	18.134.000
الفواكه	459.001 قنطار	16.559.000
التبغ	60.554 قنطار	13.288.000
الفوسفاط	438.601 طن	13.158000
الصوف	97.116 قنطار	13.111.000
الفلين	41.914 طن	13.033.000
جلود مختلفة	52.441 قنطار	10.887.000

المصدر: Le commerce et l'industrie de l'Algérie, publiée par Le Gouvernement général de l'Algérie, Alger ; Imp. Orientale et F. Fontana, 1922, p08.

الشكل 1: تمثيل بياني لقيمة السلع التي تشكل صادرات الجزائر لسنة 1913م بنظام (S.P.S.S)

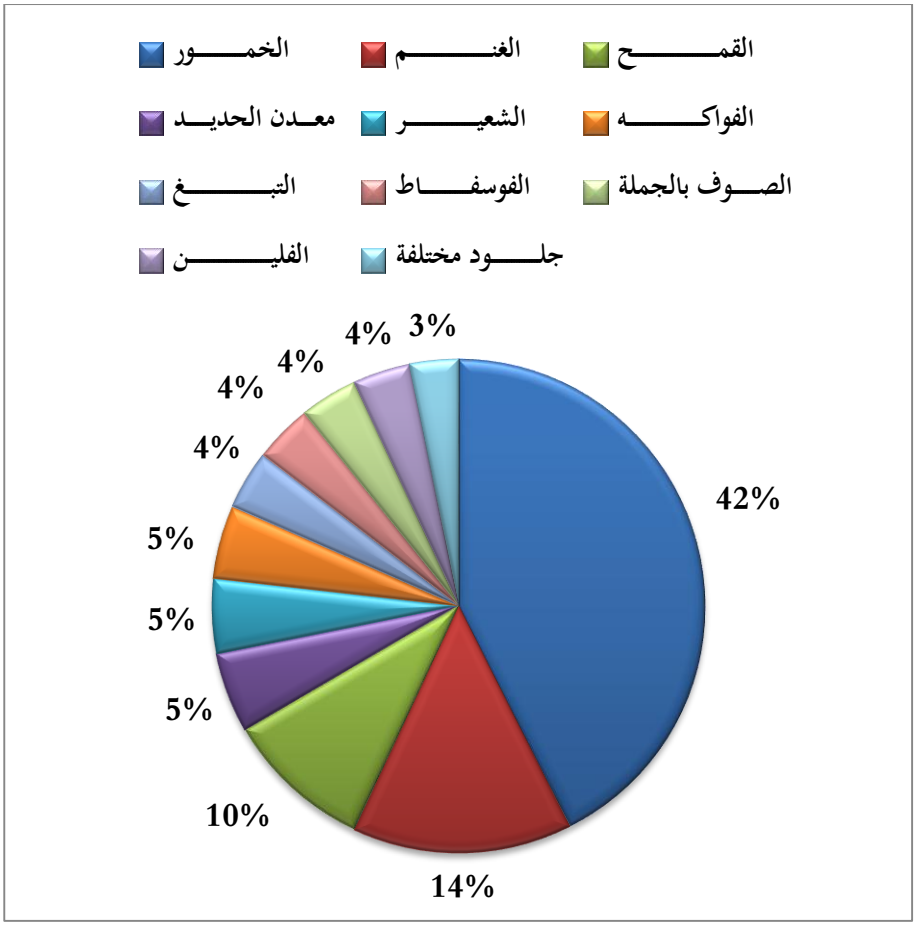

المصدر: من اجتهاد الباحثة

تحليل التمثيل البياني بنظام (S.P.S.S)

من خلال القراءة الممحّصة للتمثيل البياني بنظام (S.P.S.S) نلاحظ أن هناك تنوع في المواد المصدَّرة إلى فرنسا، كما نلاحظ أن أعلى نسبة مئوية كانت من نصيب الخمور بنسبة 42 % أي تقريبا ما يعادل مجموع قيمة باقي السلع الأخرى وهذا دليل على الانتشار الواسع لزراعة الكروم؛ وهي زراعة تجارية بالدرجة الأولى كونها كانت موجهة للاستهلاك الفرنسي وتخدم اقتصاد فرنسا.

وكانت زراعة الكروم تستخدم لصناعة أجود الخمور في العالم بل وتنافسها وهذا طبعا راجع لتداخل عدة عوامل طبيعية من بينها: نوعية التربة وجودة المناخ بالإضافة إلى توافر اليد العاملة الجزائرية بأثمان بخسة.

ثم يلي هذه المادة مادة الخمور نجد الغنم بنسبة مئوية 14 % لطالما تمتعت الجزائر بثروة حيوانية معتبرة باعتبار انتشار النشاط الرعوي واحتراف الجزائريين له منذ القديم.

أما المرتبة الثالثة فقد تصدّرها القمح كونه الغذاء الرئيسي للأهالي. لتتقاسم السلع الأخرى من شعير وفواكه وتبغ... باقي النسبة المئوية وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الجزائر بلد غني بمختلف أنواع الثروات الطبيعية والباطنية.

5. خاتمة

ومسك القول وكاستنتاج للموضوع نقول أن الجزائر تتمتّع بإمكانيات طبيعية وبشرية ضخمة بفضل موقعها الاستراتيجي المميّز الحيويّ في حوض البحر الأبيض المتوسط ممّا أسال لعاب الدول الاستعمارية، وجعلها تتكالب عليها إلى أن وقعت تحت وطأة الاستدمار الفرنسي الغاشم؛ والذي جعل من حادثة المروحة في 1827م ذريعة للولوج إلى أرض الجزائر، وخلف هذا القناع تغلغلت فرنسا في الأراضي الجزائرية.

وهكذا نجد أن الجزائر صارت مستعمَرة ومستوطَنة يستغلها المستوطنون الأوربيون والذين أضحوا يتحكّمون في حوالي ثلاثة ملايين من الأراضي الصالحة للزراعة عام 1954م ومقابل هذه الوضعية تحوّل الفلاحون الجزائريون بعدما كانوا هم ملاّكا لأراضيهم وأسيادا فيها تحولوا إلى عبيد يُسخّرون فيها .

أما فيما يخص الصناعة فقد أصبحت الجزائر أكبر منجم للثروات الطبيعية والباطنية ينهبها المستدمِر الفرنسي والذي استنزف البلاد والعباد دون

حبيش فتيحة

أدنى رحمة أو شفقة، ولم يتوانى الشعب الجزائري بمختلف شرائحه ولو للحظة واحدة في الاستماتة والتضحية بالنفس والنفيس تاركين الجزائر أمانة في أعناقنا.

إذن فلنصن الأمانة ورحم الله شهداءنا الأبرار ولتحيا الجزائر.

6. قائمة المراجع:

القرآن الكريم

Friedlander, A. (1985). *Encylopoedia Universalis.* Paris, France.

جاد علي. (2013). *موسوعة المعارف الشاملة* (الإصدار ط: 1). بيروت، لبنان: مكتبة لبنان ناشرون.

حسيبة مصطفى. (2012). *المعجم الفلسفي.* عمان، الأردن: دار أسامة للنشر والتوزيع.

دورتيه جان فرونسوا. (2011). *معجم العلوم الإنسانية* (الإصدار ط: 2). (كتورة جورج، المترجمون) بيروت، لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

شاتليه فرنسوا ، دوهاميل أوليفيه، و بيزيه إيفلين. (2014). *معجم المؤلفات السياسية* (الإصدار ط:3). (صاصيلا محمد عرب، المترجمون) بيروت، لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

عاشوراكس أحمد محمد. (2009م). *صفحات تاريخية خالدة من الكفاح الجزائري المسلح ضد جبروت الاستعمار الفرنسي الاستيطاني (1500- 1962).* ليبيا: منشورات المؤسسة العامة للثقافة.

فركوس صالح بن النبيلي. (2012). *تاريخ جهاد الأمة الجزائرية للاحتلال الفرنسي المقاومة المسلحة (1830-1962).* الجزائر: دار العلوم للنشر والتوزيع.

محمود عبد المنعم مرتضى. (د.ت). *الجزائر المنتصرة.* مصر: الدار القومية للطباعة والنشر.

ول وايزيل ديورانت. (1988). *قصة الحضارة الإصلاح الديني.* (يونس علي أدهم عبد الحميد، المترجمون) بيروت، لبنان: دار الجيل.